مجلة التطوير العلمي للدراسات والبحوث
Journal of Scientific Development for Studies and Research (JSD)
P- ISSN 2709-1635 E-ISSN 2958-7328

المجلد 4 / العـدد: 15 (2023)، Volume 4, Issue 15
ص 44 – 63

ظاهرة الاسلاموفوبيا عند صامويل هانتنغتون

بن بختي عبد الحكيم*
كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة أبو بكر بلقايد –تلمسان (الجزائر)

The phenomenon of Islamophobia according to Samuel Huntington

BENBEKHTI Abdel Hakim
https://orcid.org/0009-0004-9302-6951
faculty of law and political science, University Of Tlemcen(Algeria),
abdelhakim.benbekhti@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 2023/04/01 تاريخ القبول: 2023/06/04 تاريخ النشر: 2023 /09/01

ملخص:

حضيت نظرية صدام الحضارات لصامويل هنتنغتون باهتمام بالغ في تفسير تفاعلات العلاقات الدولية الراهنة، حيث أكدت النظرية أن مسألة الصراع وإن كانت في الأصل ترتبط بالبحث عن المصالح، إلا أن طبيعة هذا الصراع في المستقبل سيكون صراعا بين الحضارات وليس الدول.

لقد ساهمت نظرية هانتنغتون في إعادة بعث ظاهرة الإسلاموفوبيا في الأنساق الاجتماعية الغربية وتعزيز الهواجس بين الثقافتين الإسلامية والغربية، الأمر الذي انعكس سلبا على المسلمين في الغرب، وعلى مضامين الخطابات السياسية والإعلامية الغربية.

وبناء على ذلك تستعرض هذه الدراسة بالتحليل والنقد نظرية صدام الحضارات وتبعاتها السياسية والاجتماعية، وكيف كانت سببا في نفاقم ظاهرة الاسلاموفوبيا، وأن مضامين هذه النظرية وافتراضاتها تجانب الصواب، لأن هنتنغتون لم يستطع تحديد الرابط بين حضارة ما والسياسة الخارجية للدول المنتمية إليها.

كلمات مفتاحية: الإسلاموفوبيا، صراع الحضارات، الحركات الإسلامية المتطرفة، الإسلام والعولمة، الثقافة الإسلامية، صامويل هانتنغتون.

Abstract: Samuel Huntington's theory of the clash of civilizations received great interest in interpreting the interactions of current international relations, as the theory confirmed that the issue of conflict, although it was originally related to the search for interests, the nature of this conflict in the future will be a conflict between civilizations not states.

Huntington's theory has contributed to the resurrection of the phenomenon of Islamophobia in Western social systems and the reinforcement of misgivings between Islamic and Western cultures, which negatively affected Muslims in the West and the contents of Western political and media discourses.

*المؤلف المرسل.

Accordingly, this study analyzes and criticizes the theory of the clash of civilizations and its political and social consequences, and how it was the cause of exacerbating the phenomenon of Islamophobia. And that the contents of this theory and its assumptions are wrong, because Huntington could not determine the link between a civilization and the foreign policy of the countries belonging to it.

Keywords Islamophobia; the clash of civilizations; extremist Islamic movements; Islam and globalization; Islamic culture; Samuel Huntington.

مقدمة:

شهدت بعض عواصم دول أوروبا في العقد الأخير سلسلة من التفجيرات والأعمال الإرهابية؛ كان أبرزها الهجمات التي تعرضت لها فرنسا من خلال حادثة (شارلي ايبدو) بتاريخ 07 جانفي 2015 وحادثة 13 نوفمبر 2015 وآخرها تفجيرات بروكسيل يوم 22 مارس 2016؛ كما لم تكن هذه الحوادث هي الأولى، بل عرفت أوروبا العديد من الهجمات المماثلة بدءا من تفجيرات (مدريد) سنة 2004، تفجيرات (لندن)سنة 2000، تفجيرات (ستوكهولم) سنة 2010، والتي ألقت بظلالها على المسلمين هناك، خصوصًا في الألفية الجديدة، وما يشهده الغرب راهناً من توجّس وارتباك وردود أفعال متباينة، كل ذلك يؤسّس لمرحلة قاتمة من العلاقات والتفاعلات الداخلية ضمن المجتمعات الغربية ذاتها؛ وعلاقات المجتمعات المعنية مع البلدان العربية والإسلامية، إلى جانب حالة الاحتقان غير العادية في المجتمعات الغربية – وهي حالة تتمحور حول الخوف من دين الإسلام والمسلمين– مما دفع بالشباب الأوروبي في العديد من الدول إلى حدّ عقد الاجتماعات العلنية، التي طالبت باتخاذ إجراءات لقطع الطريق أمام ما يمكن تسميته «أسلمة أوروبا».

لقد تولّدت عن هذه الهجمات الإرهابية التي رفع منفّذوها شعارات إسلامية ضد المجتمعات الغربية حملة إيديولوجية ضد المسلمين تجسّدت في ما يسمّى« ظاهرة الإسلاموفوبيا»؛ ولا ريب أنّ هذه الفوبيا Phobia (الخوف المرضي) من دين الإسلام والحركات الأصولية الإسلامية مردّها توهّم الغرب من أن الخصوصية العقائدية والثقافية للدول الإسلامية عامة والعربية على وجه الخصوص بمكوّنها الروحي (الإسلام) تشكل تهديداً حضارياً له؛ مما جعله يلصق تهمة "الإرهاب" بالثقافة العربية الإسلامية، كما عمل ولا يزال في تضييق هوامش الحريات الثقافية والدينية للجاليات الإسلامية المقيمة في بلدانه؛ خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م والتي تعتبر المنعرج الخطير والبارز لانتشار هذه الظاهرة ونقطة تحوّل في العلاقات بين الدول الغربية والدول العربية الإسلامية؛ حيث أصبح الإسلام في نظر الغرب يعني "الأصولية – Fondamentalisme –" وارتبطت هذه المفردة عند

الغربيين بالتكفير والعنف والجماعات المتشددة والإرهاب، واستندت كل تلك السلوكات والخطابات لطروحات صامويل هنتغتون حول صدام الحضارات والذي يرى في الحضارة الإسلامية مصدر تهديد فعلي للحضارة الغربية.

إشكالية البحث:

وعلى ضوء تفاقم ظاهرة الإسلاموفوبيا في الإعلام والخطاب الرسمي الغربي تحاول هذه الدراسة معالجة إشكالية مركزية تتمثل فيما يلي:

إلى أي مدى ارتبطت ظاهرة الإسلاموفوبيا بنظرية صدام الحضارات لصامويل هانتنغتون؟ وما هي الحدود التفسيرية لهذه النظرية في دراستها للحضارة الإسلامية ضمن أطروحة صدام الحضارات؟

أهمية البحث:

تتمثل أهمية الدراسة في النقاط التالية:

1- إلقاء الضوء على مضامين نظرية هانتنغتون لصدام الحضارات.

2- بيان أثر نظرية صدام الحضارات على النقاشات العلمية وعلى النسق الإدراكي للشعوب في النظم الغربية.

3- الدراسة النقدية لنظرية صدام الحضارات لصامويل هانتنغتون والمساهمة في التأسيس لنموذج معرفي آخر قوامه الحوار والتكامل والسلام.

4- الأهمية العلمية تكمن أيضا في قلة الدراسات العربية التي تعنى بظاهرة الإسلاموفوبيا وعلاقة العالم الإسلامي بالغرب، في مقابل كم هائل من الدراسات والأدبيات العلمية من طرف الباحثين الغربيين حول ذات الموضوع، الأمر الذي زاد من التراكم المعرفي الغربي وكرس المركزية الغربية في التنظير لعلاقة الغرب بالعالم الإسلامي.

أهداف البحث:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى الأهداف التالية:

1- التأصيل لثقافة الحوار الحضاري والسعي لإزالة اللبس والغموض الذي يكتنف ظاهرة الإسلاموفوبيا.

2- ترسيخ قيم التكامل والحوار الحضاريين كقيم جوهرية في الدين الإسلامي، وأن موقف الإسلام من الآخر لا يقوم على أساس العداء والتصادم والإقصاء، وبيان أن الإرهاب والعنف لا دين له.

3- مناقشة موضوع مارس الإعلام الغربي بشأنه حملة شرسة ضد الإسلام والمسلمين، خاصة في سياق الأحداث الإرهابية التي تعرضت لها العواصم الأوربية، وبالتالي تهدف الدراسة إلى المشاركة في حملة الرد على المغالطات والمزايدات التي أدت على استفحال ظاهرة الإسلاموفوبيا في المجتمعات الغربية.

منهجية البحث:

بالنظر إلى طبيعة المشكلة البحثية وكيفية تناولها، يمكن وضع إطار منهجي محدد لدراسة هذه المشكلة من خلال **المنهج الوصفي التفسيري:** وهو من مناهج العلوم الإنسانية الذي يلائم دراسة الظواهر الاجتماعية ويصفها وصفا موضوعيا، ووصفاً كمياً وكيفياً من خلال جمع المعلومات وتصنيفها، ومن ثم كشف العلاقة بين أبعادها المختلفة من أجل تفسيرها تفسيراً كافياً والوصول إلى استنتاجات عامة تساهم في فهم الحاضر وتشخيص الواقع وأسبابه؛ فالمنهج الوصفي التفسيري سيساعدنا على التعرف على معالم هذه الظاهرة وإشكالاتها وتحديد أسباب وجودها في أوروبا وتشخيصها والوصول إلى كيفية مواجهتها والقضاء عليها.

المحور الأول

نظرية صراع الحضارات عند صامويل هنتنغتون

إن تاريخ العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي عبر التاريخ كانت علاقة صراع في مسارها الرئيسي منذ الفتوحات الإسلامية والحروب الصليبية، وقد أعاد التاريخ هذه الظاهرة ضمن المتغيرات الدولية الراهنة مع مطلع الألفية الثالثة للميلاد؛ ويرجع ذلك لاعتبارات متعددة؛ منها بروز الثورة الإسلامية الإيرانية عام 1979م؛ نشاط الحركات الإسلامية في أفغانستان 1970م؛ قضية سلمان رشدي 1986م؛ (حرب الخليج العربي) 1991م؛ الحرب في يوغوسلافيا السابقة 1992م، وبروز الإسلام عاملاً سياسا في العالم الإسلامي، بهذا دخل دين الإسلام بقدر أكبر في السياسات والمجتمع السياسي(ما يسمّى الإسلام السياسي)؛ باعتباره قوة عالمية مؤثرة خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين وبروز الحركات الإسلامية خلال التسعينات.

أصبحت علاقة المسلمين بالغرب من أهم الموضوعات النقاشية المطروحة الآن على أكثر من صعيد، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م في الولايات المتحدة الأمريكية والمتمثلة في الصراع الذي يحكم علاقة العالم الغربي بالإسلام والذي يستند في جزء منه إلى اختلافات حضارية عميقة ضاربة بجذورها في التاريخ، (حمدي، 2016)كما تَزْعُم نظرية (صراع الحضارات) الشهيرة لصاحبها المنظر الأمريكي (صامويل هنتنغتون) بالموازاة مع المنطلقات النظرية لـ (فرنسيس فوكو ياما) حول النزعة الإيديولوجية في الإسلام من خلال كتابيه "نهاية التاريخ" وكتاب "الإسلام والحداثة والربيع العربي" فلقد أثارت نظرية صراع الحضارات العديد من الردود وفتحت المجال لسجال من النقاش، خاصة في ظل بروز ظاهرة الإسلاموفوبيا في أوروبا جراء الأعمال التفجيرية الأخيرة المتوالية.

الفرع الأول: نظرية صراع الحضارات (صامويل هنتنغتون):

منذ القدم والثقافة الغربية محملة بأوهام كثيرة تجعل من الإسلام عدواً تاريخياً وتقليدياً للغرب، وليس مصدر هذه الأوهام دينياً فحسب، بل أضيفت إليه وعلى مر الأيام والتاريخ عوامل سياسية واقتصادية زادت في أثر هذا العامل الديني وجعلته يتخذ شكل خرافة ضخمة تستقر في أعماق الوعي الغربي، وجاءت نظرية هنتغتون (صدام الحضارات) لتفنّد هذا الطرح، فهل أثبتت هذه النظرية صحة فرضيتها على أرض الواقع؟

أولا: أصول ومنطلقات نظرية صراع الحضارات:

يرى الكثير من علماء الاجتماع السياسي الغربيين أنّ ما يحكم العلاقة بين الحضارات هو "الصدام" على أساس الثقافة أو الهوية التي تحكم كل حضارة في عالم ما بعد الحرب الباردة، فالنزاع الأصلي في العالم يكون مصدره اختلاف التاريخ والثقافة والتقاليد والأكثر أهمية اختلاف الدّين، وأنّ الدول القومية ستبقى الأكثر قوةً وهيمنةً في الشؤون العالمية.

1. أصول نظرية صراع الحضارات

يوجد العديد من الدراسات التي تصوّر علاقات الغرب بدين الإسلام والعالم الإسلامي بالصدام والنزاع، هذه الدراسات التي حاولت تأكيد نظرتها وتوظيفها لصالح مقولة صدام الحضارات التي بشّر بها (صامويل هنتغتون) في 1996 من خلال كتابه **صدام الحضارات (إعادة صنع النظام العالمي)** والتي جاء فيها: " أنّ النزاع وفق خط الانقسام بين الحضارتين الغربية والإسلامية مستمر منذ 1300 سنة، فبعد صعود الإسلام انتهى اكتساح العرب للغرب والشمال في (تور) عام 732م، ومرورا عبر التاريخ وصولا إلى القرن السابع عشر؛ قلَب الأتراك العثمانيون الميزان، ومدّوا سيطرتهم على الشرق الأوسط والبلقان ومن ثم سيطروا على شرق أوروبا"، لكن مع انهيار القوة العثمانية في أوائل القرن العشرين، فرضت بريطانيا سيطرة الغرب على (الشرق الأوسط) والنتيجة التي توصّل إليها (هنتغتون) من هذا التاريخ هي أنّه مثقل بالنزاع والصدام والذي يمتد عمره قرونا من الزمان بين الغرب والإسلام ليس من المرجح له أن ينحسر، بل قد يصبح أكثر خطرا في المستقبل". (الهيتي، 2010)

توضّح نتائج مراجعة حالة علم العلاقات الدولية –خلال العقدين السابقين وخاصة منذ نهاية الحرب الباردة–التزامن بين بروز البعد القيمي في منهجية دراسة العلاقات الدولية من ناحية، وصعود الأبعاد الثقافية الحضارية في ظل عمليات وسياسات وإيديولوجيات العولمة من ناحية أخرى، ولذا تجدد الاهتمام بموضوع **"الدين –الثقافة –الحضارة"**،(RABIE, 2022) وتأثيرها على العلاقات الدولية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، ولقد قفز هذا الاهتمام إلى الصدارة بعد أحداث 11سبتمبر إضافة إلى أحداث تفجيرات باريس وبلجيكا عامي 2015 و2016م في ظل ظاهرة الإسلاموفوبيا، ولقد كان الاهتمام بالعلاقة بين الحضارات تجسيدا واضحا لبروز

الاهتمام بالبعدين السابقين أو تجدده؛ فلقد ظهر مجال العلاقة بين الحضارات باعتباره مجالا يتجسد على صعيده نمط جديد من صراعات القوى وتوازناته ويرجع ذلك بالطبع للعديد من الأسباب؛ على رأسها: انتهاء الصراع الإيديولوجي، وصعود دور الأديان، وتهاوي الحدود بين الداخلي والخارجي من جراء ثورة الاتصالات والمعلومات، وبعد أن تحققت الهيمنة الغربية السياسية والعسكرية ثم الاقتصادية، فلم يتبقَّ إلا اكتمال الهيمنة على الصعيد الثقافي. (مصطفى، 2006).

الفرع الثاني: أساس الصراع:

إن نظرية صراع الحضارات أساسها الأول هو أنّ: الاهتمام الأوربي بالإسلام نشأ من الخوف من منافس للمسيحية يتميز بوحدته وصلابته وبقوته الجبارة ثقافيا وعسكريا؛ فكان أوائل الباحثين الأوربيين في الإسلام على نحو ما بينه مؤرخون كثر كتبوا لمواجهة مد المسلمين الذي يهدّدهم وخطر الارتداد عن الدين المسيحي، وقد استمرت هذه التوليفة من الخوف والعداء بصورة ما حتى يومنا هذا، سواء في الاهتمام العلمي أو غير العلمي بالإسلام، وهو الذي ينظر إليه على أنّه دين ينتمي إلى منطقة معينة من مناطق العالم هي الشرق وهي التي غدت تمثل الثقل الموازن جغرافيا وتاريخيا لأوروبا أو ضد أوربا والغرب.

ويلاحظ **برنارد لويس**(Bernard Lewis)أحد أهم علماء الشرق الأوسط الغربيين متخصصاً في تاريخ الإسلام: « لمدة ما يقرب من ألف سنة، كانت أوروبا تحت تهديد مستمر من الإسلام»، (هنتغتون، 1996، صفحة 339) الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب موضع شك، وقد فعل ذلك مرتين على الأقل.

إنّ شدة العداء التاريخي بين الإسلام والغرب كان معترفا به من قبل المجتمعين في أعقاب الحرب الباردة، في سنة 1991م مثلا كان **باري بوزان** (Barry Buzan)أستاذ العلاقات الدولية بلندن، يرى عدة أسباب لنشوب حرب مجتمعية باردة بين الغرب والإسلام تقف فيها أوروبا على خط المواجهة، هذا التطور له علاقة بالخصومة بين المسيحية والإسلام، وبالغيرة من القوة الغربية، وبالاستياء من السيطرة الغربية، والامتهان نتيجة المقارنة البغيضة بين إنجازات الحضارتين الإسلامية في القرنين الأخيرين، (هنتغتون، 1996، صفحة 343) وهذا ما يبرر طرح السؤال لماذا (**فوبيا**) **الدين الإسلامي** على الساحة العالمية دون سواه من الديانات الأخرى التي عرفتها البشرية منذ القدم!

أولا: منطلقات نظرية صراع الحضارات:

أساس أطروحة (هنتغتون) هو تقسيمه للحضارات الكبرى الحالية ومعيار الفصل بينها هو الدّين، ويعتبر المستوى الحضاري هو وحدة التحليل الأساسية، فالصراع بين الحضارات هو الذي سوف يسيطر على السياسة

العالمية؛ فالخطوط الفاصلة بين الحضارات سوف تكون هي خطوط القتال في المستقبل، وفيما يلي الأسباب التي يسوقها لما يعتبره سوف يقع لا محالة، فيقول:

«إنّ شعور الانتماء إلى حضارة معينة سوف يكون له شأن متزايد في المستقبل، وسوف يصوغ العالم إلى حد كبير التفاعل بين حضارات ست أو سبع هي الحضارات التالية: الحضارة الغربية، والحضارة الكونفوشيوسية، والحضارة اليابانية، والحضارة الإسلامية، والحضارة الأرثوذكسية، والحضارة اللاتينية الأمريكية، وربما الحضارة الأفريقية، والصراعات المهمة القادمة سوف تقوم على طول الخطوط الثقافية التي تفصل بين هذه الحضارات». (الهيتي، 2010، صفحة 350).

كما يرى أنّ الفروق بين الحضارات هي فروق أساسية تتلخص في التاريخ واللغة والثقافة، والأهم الدين؛ فالدين مركزي في العالم الحديث، وربما كان هو القوة المركزية التي تحرك الناس وتحشدهم، وهذه الفروق الثقافية ليست قابلة للتبديل أو الحلول الوسط، ومع تحديد العلاقات المختلطة بمقياس ديني أو إثني فستنشأ تحالفات في صورة متزايدة تستغل الدين المشترك والهوية الحضارية المشتركة، وبناءً على ذلك سيحدث صدام بين الحضارات، ولما كان هناك صدام عسكري يمتد عمره قروناً بين الغرب والإسلام فإنّه ليس من المرجح أن ينحسر، وإذا أضفنا إلى ذلك التفاعل العنيف بين الحضارة العربية والحضارة الكونفوشيوسية فإنّه من الممكن أن ينشأ تحالف بين الحضارتين الإسلامية والكونفوشيوسية يهدد الحضارة الغربية، ويبشر بظهور صدام حضارات بين الغرب والبقية THE WEST AND THE REST على حد تعبيره. (دحمان، 2016).

ومن خلال قراءة أخرى للكاتب(حمدي شفيق): « يضيف (هنتغتون): أنّ الغرب يسيطر على العالم الآن سيطرة كاملة، وسيظل مسيطرًا ومتفوقًا في القوة خلال القرن الحادي والعشرين، إلا أنّ التغييرات التدريجية والحتمية الأساسية تؤثر أيضًا على توازن القوى بين الحضارات، حيث ستأخذ قوة الغرب في الاضمحلال، فخلال خمسة وسبعين عامًا من 1920 حتى 1995 تراجعت السيطرة السياسية للغرب على المناطق العالمية بنسبة 50%، وتراجعت نسبة من يسيطر عليهم الغرب من سكان العالم 80%، وتراجعت سيطرة الغرب على الصناعة العالمية بنسبة 35%، أما سيطرة الغرب على القوة العسكرية فقد تراجعت بنسبة 60%، وفى العالم 45 دولة مستقلة تنضوي تحت راية الإسلام، وهو أقوى الديانات العالمية من حيث سيطرته الثقافية على المؤمنين به، كما أنّه دين له ميزة اقتصادية كبرى، هي أنّه يسيطر على معظم احتياطي البترول العالمي، ولن ينضب هذا البترول إلا بعد سنوات طويلة جدًا، ولايزال الإسلام يمر بمرحلة النمو السكاني السريع، ومن المتوقع أن يشكل المسلمون 30% من سكان العالم في عام 2025، وقد تسببت الهجرة من الدول الإسلامية إلى دول أوروبا في ردود فعل شديدة في أوروبا، حيث يشكل الشباب المسلم الساخط العاطل عن العمل تهديدًا لأوطانهم الأصلية ولدول الغرب التي هاجروا

إليها؛ أما الصحوة الإسلامية الجديدة فقد منحت المسلمين الثقة في شخصيتهم المميزة، وفى الإحساس بأهمية حضارتهم، وفى القيم الإسلامية بالمقارنة بالقيم والحضارة الغربية في العالم». (حمدي، 2016، الصفحات 9-10)

ويقول أيضًا: « إنّ الخطر يكمن في التفاعل بين هذه الصحوة والثقة الإسلامية التي تدعمها الزيادة السكانية المستمرة وبين مخاوف الحضارات المجاورة، وهذه الحضارات المجاورة لحضارة الإسلام لديها شعور كامل بالخوف من التهديد الإسلامي، الغرب قلق بسبب البترول وهواجس الانتشار النووي في الدول الإسلامية، والهجرة من الدول الإسلامية»، والدليل على نظرية "هنتغتون" عن حتمية الصراع بين الإسلام والحضارة الغربية حسب قراءة (حمدي شفيق): ما يرى في مناهج تدريس التاريخ للتلاميذ في الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية من تصوير المسلمين وفقًا لأنماط ذهنية ثابتة stéréotypes في الوعي الأمريكي والأوروبي تعكس التحيز وفقدان الموضوعية عند الحديث عن الإسلام والمسلمين.

بصفة عامة منطلقات نظرية صدام الحضارات لـ (هنتغتون) تتمثل في:

1 ـ الديانة هي المعيار للتمييز بين الحضارات:

لأنّ الدين حسب (هنتغتون) هو الخاصية الأساس للتعريف بالحضارة.

2 ـ حتمية صراع الحضارات:

يرى(هنتغتون): « أنّ الصراع بين القوى العظمى قد حلّ محلّه صدام الحضارات» و«الدول القومية تظل الوحدات الرئيسية القائمة في الشؤون الدولية، وسلوكها يتشكل كما في الماضي بسعيها نحو القوة والثروة، ولكن أيضا يتشكل بالاختيارات والاختلافات الثقافية»، ومع تزايد قوة بعض الدول وثقتها في نفسها، فإنّ المجتمعات غير الغربية تؤكد بشكل متزايد قيمها الثقافية وترفض تلك المفروضة عليها من الغرب، ويعتقد أنّ هذا العامل سيؤدي إلى الصراع بين القوى التي ستقوى ويكبر حجمها، وقد حاول أن يأتي بمجموعة من الأمثلة التي حاول الإقناع بها، للإيمان بحتمية الصراع الحضاري، وبالتالي قرأ التاريخ في الاتجاه الذي يؤدي إلى تكريس صورة الصراع والصدام.

ثانيا: الإسلام هو العدو الأول:

الصراعات المقبلة ستكون بين الحضارتين الغربية من جهة والحضارة الإسلامية والكونفوشيوسية أو الصينية من الجهة الأخرى، هذا العداء أبرزه في قوله: «أربعة عشر قرنا... أثبتت أنّ العلاقات بين الإسلام والمسيحية كانت غالبًا عاصفة؛ كل واحد كان نقيضا للآخر»، ويستدل هنا بمقولة (برنارد لويس)، المشكلة المهمة بالنسبة للغرب ليست الأصولية الإسلامية بل الإسلام: فهو حضارة مختلفة، شعبها بثقافته مقتنع بتفوق قوته. (هنتغتون، 1996، صفحة 352).

ثالثا: الحضارة تشكّل الاقتصاد:

يقول (هنتغتون): «الحضارة تشكّل كل شيء في حياتنا فهي التي تحدد المواقف السياسية المختلفة، وهي التي تحدد سياستنا وحتى نظامنا السياسي»، وأنّ الهوية الثقافية هي التي تحدد علاقات الدول بعضها ببعض بقوله: « في الحرب الباردة الدول كانت ذات علاقة بالقوتين العظميين كدول متحالفة، أو تابعة، أو عميلة، أو محايدة، أو غير منحازة في عالم ما بعد الحرب الباردة»، ويضيف أنّ: «الحضارة تشكل شكل التعاون الاقتصادي بين الدول ومدى نجاح المنظمات الاقتصادية وفشلها، بل لا يمكن أن يكون هناك اندماج اقتصادي ناجح إلا في إطار الحضارة الواحدة»،(Taylor & Russett, 2020, pp. 76-80) كانت هذه منطلقات النظرية فما هي تجلّيات الصدام على أرض الواقع؟

المحور الثاني

المنطلقات النظرية لفرنسيس فوكوياما النزعة الايديولوجية في الإسلام:

تباينت عوامل الصدام بين الإسلام والغرب في القرن الحادي والعشرين بين صعود الإسلام السياسي والمتمثل في الحركات الإسلامية المنشقة وظاهرة العولمة وتأثيرها على المجتمع الإسلامي.

الفرع الأول: الحركات الإسلامية المتطرفة (الإسلام السياسي) عند فوكوياما:

يطلق مصطلح "الحركة الإسلامية" على الحركات التي تنشط في الساحة السياسية، وتنادي بتطبيق الإسلام وشرائعه في الحياة العامة والخاصة، وهي تسمية أطلقتها الحركات الإسلامية على نفسها وتسمى أيضا حركات "الإسلام السياسي" أو حركات "الأصولية الإسلامية"، وذلك ترجمة للمصطلح الانجليزي (Fundamentalism)، ويعتبر فوكوياما الأصولية الإسلامية أحد فروع الفاشية التي قامت في أوربا والتي أدت إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية، (حفضاوي، 2018، صفحة 263) من تصنيف هذه الحركات الإسلامية: التيار الجهادي الميال للعنف والتطرف، حيث ظهر فكر هذا التيار مؤخرا بشكل جلّي، وذلك بعد الأحداث التي عرفتها الولايات المتحدة الأمريكية، في 11 سبتمبر 2001، وقد وظّف هذا التيار كلما توفر لديه من مال ورجال، وما تحقق لديهم من قوة وعتاد، في تحقيق أهم فكرة تبنّاها، وأكبر عقيدة آمنوا بها، تشكّلت لديهم بعد سلسلة الفتاوى التي تم إنتاجها على المقاس، وهي ضرب الغرب في كل مصالحه،(MERZ, 2022) الحركات الإسلامية المتطرفة حقيقة لا تصادم الغرب وحده ولكنها تعادي كل الحضارات والأديان الأخرى، كما تحارب نفس المجتمعات الإسلامية التي تنتمي إليها. (الرواف، 2003).

بقدر ما استوجبت التفجيرات الإرهابية التي استهدفت العاصمة السياسية للاتحاد الأوروبي بروكسل (بلجيكا) وقبلها فرنسا، من إدانات واستهجان عالمي، إلّا أنّ بعض أدبيات لهجة الإدانة الأوروبية لهذه الأحداث الدامية ألبستها ثوب حرب (القيم)، حيث تستدعي هذه العبارة لدى المتابعين للإنتاج الفكري لفترة ما بعد انتهاء الحرب الباردة استذكار ما يعرف بنظرية (صدام الحضارات)، وقد صرّح الساسة الأوروبيون عقب وقوع تفجيرات بروكسل، واصفين وقوع تلك الهجمات بالقرب من المؤسسات الأوروبية يعني أنّها لا تستهدف بلجيكا وحدها، بل تستهدف أيضاً حرية الحركة و(القيم) التي تشكل جزءاً من الاتحاد الأوروبي، ووصفها بأنها هجمات تؤكد بطريقة مأساوية وبأنّ هدف الإرهاب الأساسي هو (ثقافي) الحرية والديمقراطية. (أشقر، 2016).

وبقراءة خاطفة لهذه التصريحات، يلاحظ بأنّ تفسير هذه العمليات الإرهابية بمفاهيم (كالحرب الثقافية) و(حرب القيم) تبدو وكأنها تعبئة أوروبية للشارع الأوروبي لتعيد إلى أذهانهم ما ذهب إليه (هنتغتون) في كتابه الصادر عام 1996، بأنّ مرحلة ما بعد انتهاء الحرب الباردة بين الغرب المتمثل في الدول الرأسمالية والشرق المتمثل في الدول الشيوعية بقيادة الاتحاد السوفيتي السابق؛ ستشهد الحقبة التي بعدها ما أطلق عليه بـ (صدام الحضارات) أي إعادة تشكيل النظام العالمي، ويقصد (هنتغتون) بهذا المصطلح بأن صراعات ما بعد الحرب الباردة لن تكون بين الدول بسبب اختلافات سياسية واقتصادية، بل ستكون الاختلافات (الثقافية) بمفهومها الواسع هي المحرك الرئيسي للنزاعات بين البشر في السنين القادمة بعد انتهاء الحرب الباردة.

إنّ توصيف أحداث بروكسل المأساوية، ومع اتهام أشخاص ينتمون إلى الثقافة العربية الإسلامية، وفي ظل تبنّي تنظيم (داعش) لهذه العمليات المأساوية، وكون المعتدين ينتمون إلى ثقافة مغايرة للثقافة الأوروبية، فإنّ إسقاط كل ذلك على المرتكزات الفكرية لنظرية صدام الحضارات، يجد المراقبون ما يدفعهم إلى أنّ تصريحات الساسة سواء كانت عن وعي وإدراك أو عن ردّة فعل عاطفية، فهي لا تخرج عن كونها تعبئة ثقافية تستدعي للأذهان نظرية صدام الحضارات، وإنّ تداعيات هكذا تفجيرات بالضرورة ستنعكس على الصورة الذهنية للثقافة العربية والإسلامية في الذهنية الأوروبية التي تعاني في الأصل من (**الإسلاموفوبيا**) أي الخوف والهلع من الثقافة الإسلامية. (أشقر، 2016).

الفرع الثاني: علاقة الإسلام بالعولمة وفق ما جاء في طروحات فوكوياما:

لقد ظهر مصطلح العولمة (Globalisation) في بداية التسعينات، وقد ساعد سقوط المعسكر الشرقي، وانتصار الولايات المتحدة الأمريكية في حرب الخليج الثانية في عام 1991م على تحقيق نوع من السيادة الأمريكية "هيمنة عالمية"، فاستغلت تقدمها التقني والاقتصادي، وقوتها العسكرية في تقوية هذه السيادة، وفي السيطرة على العالم سيطرة من جانب واحد.

1 . مظاهر العولمة:

●محاولة سيطرة قيم وعادات وثقافات العالم الغربي على بقية دول العالم، خاصة النامية منها، وإذابة خصائصها.

فرض مفهوم نهاية التاريخ بانتصار قيم العالم الرأسمالي الغربي انتصارًا نهائياً، والتسليم بلزوم تسليم القيادة البشرية إلى ثقافة الغرب إلى الأبد، وهو ما افترضه فوكوياما Francis Fukuyama عن توقف التاريخ وما يتسم به من تطور بشري في مجالات الحياة، بمعنى أن التاريخ سيتوقف عند النموذج الليبرالي الغربي وعلى العالم كله أن يتبع قيم هذا النموذج، لأن الحضارة الغربية حققت ما وصلت إليه من نجاح وازدهار مادي بفضل انتهاجها الديمقراطية الليبرالية. (Fukuyama, 1992, pp. 23-28)

●زيادة حجم التجارة العالمية من خلال فتح أبواب التنافس الحر.

●تسهيل الحصول على المعلومات من خلال نشر التقنية الحديثة وثورة المعلومات. (حفضاوي، 2018).

●إبقاء حال الهيمنة الغربية – بأعمدتها المذكورة آنفا- أطول فترة ممكنة تحت ستار مصطلح العولمة. (الطراونة، 2010).

2 . أخطار العولمة على الثقافة الإسلامية:

إن أخطار العولمة تظهر جليا في تعريفاتها فروجي غارودي Roger Garaudy مثلا يعرفها بأنها الوجه الثاني للهينة، وأنها تعني الاستعمار، وفي المعنى ذاته عرفها "ريتشارد هيغوت Richrd Higgott في كتابه العولمة والأقلة بأنها ما اعتدنا عليه في العالم الثالث ولعدة قرون أن نطلق عليه الاستعمار.

وانطلاقا من ذلك يمكن حصر أخطار العولمة على الثقافة الإسلامية بالآتي:

●تغييب المبادئ الدينية تحت وطأة تأثير الفكر الغربي ونظرياته على الدين والقيم، وتحييد الانتماءات الدينية عدا الانتماء إلى اليهودية والنصرانية، الذي لا يوجد في حركة العولمة الغربية ما يدل على الإلزام بالتخلّي عنه؛ لأنه يعد نوعًا من أنواع الحرية الشخصية في الفكر العلماني الغربي، ولا يزال الغرب يؤمن بتأثير الدين في توجيه الحياة السياسية، في الوقت الذي يسعى إلى أن يتخلَّى المسلمون عن دينهم.

●فرض التكيف مع الحضارة الغربية والتبعية لها، ذلك أنّ العولمة ليست محصورة في الاقتصاد وحرية التجارة الدولية، التي تعد المحرك الرئيس لها، وليست مجرد وسائل تنقل العقائد والقيم والنظم بشكل سريع التي يمكن أن تستفيد منها كل أمة في ترسيخ عقائدها وقيمها ونظمها، وإنما هي تكييف وتبعية لمعطيات الحضارة الغربية بخيرها وشرها، وتوجه يعمل على إزالة الخطوط التي تفصل بين الأُمم وتميز بعضها عن بعض(Nasrallah, 2021) .

●إخضاع القيم والأخلاق للعصرنة، ويتمثَّل ذلك بأنّ العولمة الغربية لا تؤمن بأي قيم ثابتة لغيرها، ولا تعترف بوجود كليات ملزمة من خارجها، بل تسعى إلى إخضاع العقائد والموروثات والقيم الأصيلة للآخرين إلى ما تقتضيه نظرتها التطورية التي تقوم عليها فكرة العصرنة، وهذا يعني أنّ العولمة تُخضِع كل القيم بما فيها القيم الثابتة والأصيلة للآخرين لمفهوم العصرنة. (الطراونة، 2010، صفحة 9)

3 . خطر العولمة على اللُّغة العربية:

لقد أوضح المفكِّرون المسلمون المعاصرون، خطورة العولمة على المجتمعات الإسلامية وما تحمله لها من تهديد في هويتها الثقافية وبنائها الحضاري، لقد أدرك المفكِّرون المسلمون أنّ العولمة تحمل بذور التهديد للكينونة الثقافية للمجتمعات الإسلامية، حيث أنّها تشكِّل خطرًا محدقًا على اللغة العربية، وذلك بإحلال اللغة الإنجليزية محلّها في المدارس والمعاهد والجامعات والمراكز ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة. (الطراونة، 2010، الصفحات 11-13)

مجمل القول أنّ عوامل الصدام بين الإسلام والغرب تتجلى من خلال تصارع الغرب مع الإسلام السياسي من جهة، وتصارع العالم الإسلامي مع العولمة من جهة أخرى؛ من خلال مظاهرها والتي تتمثل في الغزو الثقافي وهو أخطر الصراعات وهو ما يعبّر عنه بظاهرة التغريب، فأصبح المجتمع الإسلامي يتخبّط ما بين العولمة والتقدم التكنولوجي والقيم الإسلامية؛ وكل ذلك من أجل طمس الثقافة الإسلامية وبالتالي تغييب الحضارة الإسلامية، وهو مايستدعي توحيد الجهود لمقاومة محاولات التشويه والتخويف التي تمارسها مؤسسات صناعة الاسلاموفوبيا، فالحضارة يجب أن تتسم بخاصية المقاومة والحفاظ على الثوابث والقيم من جهة، والسعي للانتشار وتعريف لآخر بقيمها وخصائصها القيمية والحضارية.(BANERJEE, 2022)

الفرع الثالث: القراءات النقدية لنظرية هنتنغتون لصراع الحضارات

لم تثار أطروحة من الأطروحات ولا مفهوم من المفاهيم ما أثارته أطروحة صراع الحضارات من لغط واسع وجدال حاد بين الباحثين والمفكرين والسياسيين على المستوى العالمي والذين عالجوا هذه الإشكالية كلّ من موقعه واهتمامه وانشغاله إلى درجة أصبحت من القضايا الساخنة في ساحة الفكر الإنساني، فلقد لاقت نظرية صدام الحضارات جملة من الانتقادات سواء لدى مفكري الغرب أو مفكري العرب وهي انتقادات قائمة على أساس المرجعية الدينية وحتى الفلسفية لكل مفكر.

أولا: صراع الحضارات نظرية وليست ضرورة تاريخية حتمية:

يطرح عدد من المفكرين الغربيين، خاصة الأمريكيين منهم، فكرة صراع الحضارات أو صدامها باعتبارها حتمية، كما جاءت به نظرية الحتمية التاريخية، التي أصبحت من مخلفات التاريخ الفكري للبشرية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

1 ـ القراءة النقدية لبعض المفكرين العرب والغربيين:

أول نقطة يتوجه إليها معظم الباحثين والمفكرين العرب والغربيين أنفسهم بالنقد، هي ذلك التصنيف الغريب الذي قام به (هنتغتون) للحضارات، عندما ميز بين الحضارة الأميركية واللاتينية والحضارة الغربية اللتين لهما في الأصل نفس المواصفات والمميزات والجذور، كما أنّ الاعتماد على عنصر الدين واعتباره العامل الأول والأوحد في الصراع الحضاري استقراء خاطئ للأوضاع ومعرفة سطحية بالإسلام، كما أنّ القول بصراع أو صدام الحضارات أمر مجانب للحقيقة يفتقر إلى دليل منطقي وملموس، إذ المعطيات التاريخية المتوفرة تثبت العكس. (جباري، 2016).

يرى الكاتب(نجيب جباري) أنّه لا شك في كون (هنتغتون) أراد بالصراع ميكانزمات المنافسة والتكيف التي تحدث داخل البناء الاجتماعي بنظمه وتنظيماته المختلفة، ولا علاقة لكل هذا بالصراع، وكل حضارة من الحضارات تحتاج إلى الاتصال والتفاعل والتأثر بالحضارات الأخرى، وهذا معلم من معالم التاريخ الحضاري الإنساني يعود عليها بالخير والفائدة، إنّ هذا الفهم الخاطئ الذي وقع فيه يعزو حسب رأي الكاتب إلى عدم الاستيعاب لمفهومي الثقافة والحضارة، والفرق معروف بين المفهومين، (RABIE, 2022) فضلا عن أنّه عند تصنيفه للحضارات لم يأخذ بنفس المعيار عندما تكلم عن الحضارة الإسلامية، لقد نسب الحضارة الغربية إلى الغرب وهو مجال جغرافي، ونسب الحضارة اليونانية والحضارة الهندية إلى البلد، والحضارة الإفريقية إلى القارة، والحضارة الكونفشيوسية إلى شخص وهو فيلسوف الصين كونفوشيوس، والحضارة الإسلامية إلى دين، وهذا خلل واضح وإخلال بالمنهجية العلمية؛ لم يوجد له مبرر أو تفسير منطقي خصوصا وأنّه صادر من خبير ومفكر له وزنه الخاص في المنظومة الفكرية العالمية.

يرى (سعيد الصديقي) (أستاذ العلاقات الدولية من المغرب)، بأنّه مما يثير الاستغراب هو إهمال (هنتغتون) للطابع الحضاري والديني للصراع العربي الإسرائيلي، (جباري، 2016) فهو يريد تضليل قرّائه عندما يدرج الثقافة اليهودية ضمن ما يصطلح عليه بالمنظومة الثقافية الشرقية التي ينتمي إليها الإسلام أيضا؛ بينما الحقيقة أنّ الثقافة اليهودية قطعت صلتها بأصولها الشرقية في نهاية القرن التاسع عشر، مع ظهور المشروع الصهيوني المتمثل في بناء دولة إسرائيل الكبرى، ومنذ ذلك التاريخ انخرطت في المشروع الاستعماري الإمبريالي الغربي، وسيتم

بعد ذلك الترويج لمفهوم الحضارة المسيحية اليهودية عبر مئات الندوات والمؤلفات وسيحاول الجميع تجاهل إرث ثقيل من الاضطهاد والكراهية بين المسيحيين واليهود، إنّ نظرية صراع الحضارات وكما بلورها (هنتغتون) مقولة صراعية تدفع بأميركا وبالغرب بماديته وإمكاناته العلمية والمعلوماتية لممارسة الهيمنة ونفي الآخر(الجنوب) والسيطرة على ثرواته الروحية والفكرية والمادية تارة، تحت غطاء الحماية وتارة أخرى باسم الليبرالية والانفتاح والعولمة. (جباري، 2016).

2 ـ القراءة النقدية لـ "نادية مصطفى":

تمثل أطروحات (هنتغتون) وأطروحات الفكر الغربي بصفة عامة حول حقيقة "التهديد الإسلامي" تيارا فكريا يقدم رؤية كونية أو رؤية للعالم من منظور الغرب لهذا العالم؛ ومن ثم رؤية للعلاقة مع الإسلام والمسلمين ودلالتها بالنسبة لوضع الغرب العالمي ودوره، (مصطفى، 2006، صفحة 3) قد تكون مفاهيم الحضارة والثقافة والهوية التي طرحها أثارت النقد لعدم دقتها ولتداخلها؛ وقد يكون مستقبل العالم الصراعي بين **"حضارات، وثقافات، وأديان"** لا تعرف التعقل والتسوية بقدر ما تعرف التعصب للآنا ضد الآخر؛ وقد يكون النموذج الذي يطرح هذا المستقبل مرفوضا من أصحاب النماذج التعددية العالمية الذين يجعلون من الحوار والتعاون سببا لتفسير السياسات الدولية؛ وقد يكون تصور(هنتغتون) نموذج الحضارة الغربية (حيث يدافع عن ضرورة استمرار قوته وقيمه ومصالحه) هو موضع الهجوم والانتقاد الفلسفي من يؤكد مقولاته، وعليه ترى نادية مصطفى أنّ هناك ثلاث اتجاهات نقدية لأطروحات (هنتغتون) (مصطفى، 2006، صفحة 5):

الاتجاه الأول: يؤكد مقولات (هنتغتون)، ولكن يرفض إمكانية الحوار انطلاقا من حقائق اختلال توازنات القوى الدولية، وسياسات القوى الغربية تجاه الجنوب أو العالم الإسلامي، أو باعتبار أنّ مبعث هذه السياسات هو الأبعاد الثقافية الحضارية؛ أي مبعثها هو الصراع الحضاري من جانب الغرب تجاه عالم الإسلام والمسلمين، ومن ثم فإنّ الحوار لن يكون إلا سبيلا جديدا لفرض الهيمنة الثقافية والحضارية.

الاتجاه الثاني: يرفض مقولات (هنتغتون): إما رفضا أن تكون العلاقة بين الحضارات— وليس توازن القوى والمصالح– هي المفسر الأساسي للعلاقات الدولية، انطلاقا من رؤية واقعية للعلاقات الدولية ترفض تسييس الحضارات، وإما رفضا لإلصاق التهمة بالإسلام والحضارة الإسلامية باعتبارها مصادر للصراع والتصادم، والتصادم، ومن ثم دفاعا عن الإسلام والمسلمين الذين يقبلون الآخر ولا يرفضونه، بل يتعاونون معه ومستعدون للحوار معه، وإما دفاعا عن التعددية الثقافية والحوار بين الثقافات والحضارات باعتباره الأساسي في العلاقات الدولية انطلاقا من رؤية إنسانية عالمية، أو انطلاقا من رؤية إسلامية تعترف بأهمية الحوار والتعارف الحضاري بين الأمم والشعوب، وكأساس من أسس الرسالة العالمية للإسلام، وليس مجرد الدفاع والاعتذار عن الإسلام.

الاتجاه الثالث: يرى هذا الاتجاه أنّ الحوار أو الصراع هي حالات للعلاقات بين الحضارات، وفي حين يرى هذا الاتجاه أنّ الحالة الدولية الراهنة لا تسمح بحوار ثقافات أو حضارات حقيقي نظرا لاختلال ميزان القوى الدولية؛ بحيث لن يقود الحوار إلا إلى فرض نمط حضاري على الآخر، فإنّ رافدا آخر يرى أنّ الحوار ضروري للخروج بالعالم من أزمته الراهنة، إلا أنّه لابد وأن تتوافر له الشروط لكي يحقق أهدافه الحقيقية ووفق ما يقتضيه مفهوم الحوار ذاته؛ أي باعتباره سبيلا للتفاهم المشترك وإزالة العوائق أمام العلاقات السليمة. (مصطفى، 2006، صفحة 6).

3 ـ القراءة النقدية لـ "حمدي شفيق":

يرى الكاتب والصحفي (حمدي شفيق) فيما يتعلق بمستقبل العلاقة بين الحضارات الأربع: الحضارة الغربية وحضارة الصين وحضارة الهند والحضارة الإسلامية، أنّ (هنتغتون) يرى أنّ الصراع بينها حتمي، ويرى أنّ الإسلام يمثل مشكلة ليس لها حل، وليس أمام الغرب إلا أن يظهر تفهمًا أكبر للصحوة الإسلامية، لأنّ هذه الصحوة سوف تتطور في المستقبل أكثر مما هي عليه الآن، وعلى الغرب أن يغير ردود فعله تجاه هذه الصحوة الإسلامية، لأنّ موقف الشعور بالتفوق الثقافي ومشاعر العداء الصريحة من جانب الغرب تجاه الإسلام هي أسوأ ردود فعل ممكنة، وإن كان (هنتغتون) يصل أخيرًا إلى التنبؤ بأن الدول المجاورة للإسلام ستفعل كما حدث في صربيا وتتصدى للصحوة الإسلامية، فكان الخوف من الألبان المسلمين هو الذى أتى بـ **ميلوسيفيتش** عام 1987م إلى السلطة على أمل أن يقضى بالمذابح على المسلمين، وهكذا فإنّ الخوف من الإسلام واعتباره هو (العدو) للحضارة الغربية وللحضارات الأخرى أصبح قائمًا على أساس نظرية متكاملة، لها جذور تاريخية قديمة، اكتملت وتبلورت على يد (هنتغتون) أستاذ الدراسات الدولية في جامعة هارفارد؛ النظرية إذن نظرية أمريكية؛ وهى في حقيقتها ليست إلا تبريرًا فلسفيًا للحرب ضد الإسلام، وقد ينكر بعض الأمريكيين أنّهم يعتقدون صحة هذه النظرية؛ ولكن ما تفعله أمريكا ليس إلا التطبيق العملي لها. (حمدي، 2016، الصفحات 10-11).

. القراءة النقدية لمجمل الدراسات والأبحاث السابقة:

القول بحتمية صراع الحضارات أو صدامها، يجافي سنّة التاريخ ويتعارض مع طبيعة مع الحضارة فهذه الأخيرة هي وعاء لثقافات متنوعة تعددت أصولها ومشاربها ومصادرها، فامتزجت وتلاحقت، فشكّلت خصائص الحضارة التي تعبر عن الروح الإنسانية في إشراقاتها وتجلياتها، وتعكس المبادئ العامة التي هي القاسم المشترك بين الروافد والمصادر والمشارب جميعًا، لقوله تعالى:

﴿ **وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾ (القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 13)، فالأصل هو التقارب لا التصادم، إضافة على ذلك فإن الحضارة الإسلامية والحضارات الكبرى التي عرفها تاريخ البشرية تَتَفَاوت فيما

بينها في موقفها من المادية والروحية، فمنها ما يغلب عليه الجانب المادي، ومنها ما يغلب عليه الجانب الروحي، ومنها ما يسوده التوازن بينهما، إنّ حركة التاريخ في المفهوم الإسلامي، هو من سنّة الله في الكون، فالصراع بين الحضارات، ليس واردًا، لأنّ دورات التاريخ تطَّرِد وفق المشيئة الإلهية، ولأن التاريخ هو من صنع الله، والإنسان الذي يؤثر في مسار التاريخ ويبدع فيه، هو مِن أكرم خلق الله.

من جهة أخرى، هناك اختلاف نوعي في الحضارات وليس صراع، لقوله تعالى:

﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾ (القرآن الكريم ، سورة هود، الآية 118)وهذا الاختلاف هو رحمة فقوله تبارك ذو الجلال والإكرام: ﴿**ومِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانكُمْ إن فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ** ﴾ (القرآن الكريم ، سورة الروم، الآية 22)، من هنا نصل إلى أنّ صراع الحضارات ليس حتمية من حتميات التاريخ، كما تبيّنه نظرية هنتنغتون.

خاتمة:

من خلال ما تطرقنا إليه من مفاهيم حول النظريات المفسرة لظاهرة الإسلاموفوبيا في أوروبا وظاهرة الإسلاموفوبيا والخلفية التاريخية لها وأسبابها المتمثلة في الجهل بالإسلام، الخلط بين الدين الإسلامي وواقع المسلمين، وتبنّي صورة نمطية سلبية للمسلمين، نجد أنّ الإسلاموفوبيا معناها التحامل والكراهية للمسلمين، بحيث تعد حركة الاستشراق واحدة من أهم وأخطر القنوات التي أسهمت في تشكيل هذه الصورة، وترسيخها في مخيلة العقل الغربي الفردي والجماعي؛ وما تجلّى عنها من مظاهر سواء في العالم الغربي عامة والأوروبي خاصة والتي ارتبطت بنظرة اختزالية للإسلام كدين في مجموعة محدودة وجامدة من الأفكار التي تحض على العنف والنظرة السلبية للآخر وترفض العقلانية والمنطق وحقوق الإنسان من خلال الدور الكبير للإعلام سواء المقروء أو المكتوب في ظل غياب الإعلام العربي؛ انطلاقا من الطعن في نبوة الرسول محمد صل الله علية وسلم والتشكيك في رسالته في إطار الرسوم الكاريكاتورية بدعوة حرية التعبير، كما نجد أنّ الولايات المتحدة الأمريكية أنتجت نظرية (صراع الحضارات) بهدف توجيه هذه الظاهرة نحو الرأي العام الغربي بعد أن كانت عشوائية أصبحت مُنَهجة ومدروسة من خلال استغلال التنظيمات والحركات الإسلاموية واستخدام الإسلام السياسي كورقة رابحة للحيلولة دون توحيد العالم الإسلامي والحفاظ على الريادة العالمية من خلال بناء عالمي جديد.

وبناءا على ما سبق ذكره تم التوصل إلى النتائج والتوصيات التالية:

أولا: النتائج:

بناء على ما جاء في الدراسة يمكن التوصل إلى الاستنتاجات التالية:

1- أن نظرية صدام الحضارات لصامويل هانتنغتون حملت العديد من المغالطات في تناولها للحضارة الإسلامية، كما أنها تعتبر سندا ومرجعا فكريا هاما لاستفحال ظاهرة الإسلاموفوبيا.

2- إن مقاربة صدام الحضارات"لم تستطع تحديد الرابط بين حضارة ما والسياسة الخارجية للدول المنتمية إليها، وهو ما لا يمكن أن يقدم لنا تفسيرا واضحا لهذا الصراع على أرض الواقع، لأن الموجود ضمن البيئة الدولية هي دول قومية ما يهمها هو مصالحها القطرية وليست مصالحها ضمن مجموع الدول التي يجمعها بها نفس الدين والتاريخ، والثقافة، وغيرها من القيم المشتركة. (مداني، 2016، صفحة 257).

3- إن التطرف والأصولية بمفهومهما الواسع لا يرتبطان بديانة أو ثقافة أو حضارة معينة.

4- إن التطرف الذي يعرفه العالم المعاصر هو نتاج للفوضى الذي تشهدها العلاقات الدولية، والشرق الأوسط هو أكثر النطاقات الجغرافية تضررا من هذه الفوضى.

5- إن الفكر الغربي يقوم على محورية الصراع (صراع فكري، صراع مع الطبيعة، صراع بين التكوينات الطبقية، صراع مع الذات، صراع مع الآخر..)

6- بعد ثلاث عقود من ظهور طروحات صامويل هنتنغتون لم تستطع الدول الإسلامية الحد من ظاهرة الاسلاموفوبيا وتبعاتها، فاصبح الوضع أقرب لما وصفه مارشال هودسون Marchall Hodgson في كتابه "مغامرة الإسلام: الوعي والتاريخ في حضارة عالمية، إذ يرى أن المسلمين ورثة الحضارة العالمية الكبرى، يعانون من أزمة ثقافية كبيرة، نتيجة ما يعانون من مفارقات بين الامكانيات الهائلة في التاريخ والمعنى والموقع الذي يعيشونه من جهة أخرى. (السيد، 2002، صفحة 97).

ثانيا: التوصيات:

بناءاً على الاستنتاجات السّابقة خلصت دراستنا إلى مجموعة من التّوصيات على النحو التالي:

1. ضرورة إعادة مفهمة العالم الإسلامي والحضارة الإسلامية في النسق الإدراكي للشعوب الغربية، والتأكيد على خاصية التعايش والتسامح والتكامل في هذه الحضارة التي تضم أقواما وشعوبا من العرب والأتراك والمغول والفرس والهنود والماليزيين والهاوسا والفولاني والأحباش والبانتو والماندينغ والطوارق والأمازيغ.

2. ضرورة تحرك الدول الإسلامية وطرح إشكالية الاسلاموفوبيا على المستوى فوق القومي من خلال المنظمات والمجالس الإقليمية كالمؤتمر الإسلامي، وجامعة الدول العربية، ومجلس التعاون الخليجي، والاتحاد

الإفريقي، واتحاد المغرب العربي،... والخروج باستراتيجيات فاعلة لمعالجة الظاهرة دبلوماسيا وإعلاميا، والتركيز على القوة الناعمة في تحسين صورة الإسلام والمسلمين وتجاوز طروحات صدام الحضارات.

3. على خلاف طروحات كل من هنتنغتون وفوكوياما يرى العديد من المفكرين العرب والغربيين أمثال مالك بن نبي، وشبنجلر، وروجي غارودي، وزبغنيو بريجنسكي، وبول كيندي، ونعوم تشومسكي، موريس بيرمان، وتاكيشي أومي هارا، أن الحضارة الغربية تعرف ركودا وجمودا ماديا، وتراجعا في القيم، فـ"جيمس بيكر" في كتابه "أزمة القيم تُكلفنا باهضا" يشير بأسلوب علمي لهذا التدهور، إذ يقول أن أكثر من 73 في المئة من الشعب الأمريكي قلقون من الانحدار الأخلاقي، وأن محاولة الهروب والتجاهل لهذا التدهور أصبحت دون جدوى، فالتدهور الأخلاقي والقيمي يدخل عنوة إلى الشوارع والبيوت والمدارس وشاشات التلفزيون". (الرفاعي، 1999، صفحة 169)، وبناء على هذا الوضع يجب الاستفادة من طروحات "مالك بن نبي" الذي يرى أن الحضارة والثقافة يرتبطان بالسلوك أكثر من ارتباطهما بالمعرفة، وبالتالي وجب تقوية وتعزيز قيم الهوية الإسلامية داخليا حتى يتجلى الفارق الشاسع في مسالة القيم بين الغرب والحضارة الإسلامية، والعمل خارجيا من خلال تفعيل دور الملحق الثقافي في السفارات.

4. ضرورة مساهمة مراكز البحث والمؤسسات الجامعية في الدول الإسلامية وكذا النخب المثقفة في التأسيس لمفاهيم الحوار والتعارف الحضاري، فالملاحظ أن كل حضارة لا تحيط علما بكل تفاصيل وقيم الحضارات الأخرى، (الميلاد، 1999، صفحة 54) إذ الغالب أن هناك جهلا متبادلا بين الحضارات، وهو ما يكون سببا في التصادم والانغلاق، ولتجاوز الأمر والتكامل والتحاور يجب قبل ذلك التعارف بين الحضارات، (راهي، 2017، صفحة 106) وهو ما تقوم به استرتيجية القوة الناعمة من خلال التظاهرات الرياضية الكبرى، والصناعة السنمائية، والإعلام، والمهرجانات، وحركية السياحة، والتبادلات العلمية للطلبة والباحثين...

قائمة المراجع:

1- باللغة العربية:

- **القرآن الكريم.**
- حامد بن أحمد الرفاعي. (1999). *الاسلام والنظام العالمي الجديد* (الإصدار 3). مكة المكرمة: رابطة العالم الاسلامي.
- صامويل هنتغتون. (1996). *صدام الحضارات (إعادة صنع النظام العالمي)* (الإصدار 2). (طلعت الشايب، المترجمون) منتدى مكتبة نت.
- صبري فارس الهيتي. (2010). *العالم الإسلامي والمتغيرات الدولية (من وجهة نظر جيوبولتيكية)*. الأردن: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع.

- قيس ناصر راهي. (2017). *صدام الحضارات دراسة نقدية في جينالوجيا المفهوم*. بغداد: العتبة العباسية المقدسة، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية.
- رضوان السيد. (2002). المسألة الحضارية....الصراع والحوار والتواصل. *مجلة شؤون عربية* (109)، الصفحات 94-101.
- ليلي مداني. (2016). نقد أطروحة صدام الحضارات وواقع تحليلها ضمن مفهومي الاصولية ومفارقة الارهاب. *دفاتر السياسة والقانون* ، الصفحات 255-266.
- زكي الميلاد. (1999). *المسألة الثقافية كيف نبتكر مستقبلنا في عالم متحضر*. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- سعيد حفضاوي. (2018). العالم الاسلامي والغرب وجدلية الحوار والصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة – أطروحة دكتوراه. باتنة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر: جامعة باتنة 1.
- شفيق حمدي. (2016). *الإسلام والآخر(الحوار هو الحل)*. تاريخ الاسترداد 13 04, 2016، من www.al-mostafa.comTo PDF
- طارق أشقر. (2016). *في الحدث: (حرب القيم) تعبئة أوروبية تستدعي نظرية (صدام الحضارات)*. تم الاسترداد من جريدة الوطن: alwatan.com/details/104664
- عثمان الرواف. (2003). *خطر الحركات الإسلامية المتطرفة وإمكانية مواجهتها*. تاريخ الاسترداد 2023، من مجلة الشرق الأوسط، العدد 8945: archive.aawsat.com/leader.asp?section=3&article=172886
- غازي دحمان. (2016). *صراع الحضارات في سجاله وتجلياته*. تم الاسترداد من articles.islamweb.net/media/index.php?page
- محمد سالم الطراونة. (2010). العولمة والإسلام التحدي والاستجابة. *المؤتمر الدولي حول : دور الدراسات الإسلامية في المجتمع العولمي* (صفحة 19). عمان: جامعة مؤتة.
- نادية محمود مصطفى. (2006). *جدالات حوار/ صراع الحضارات:إشكالية العلاقة بين السياسي- الثقافي في خطابات عربية وإسلامية*. (كلية الاقتصاد والعلوم جامعة القاهرة) تاريخ الاسترداد 2016/04/02، من www.hadaracenter.com/pdfs/جدالات%20حوار.PDF
- نجيب جباري. (2016). *هل صراع الحضارات ضرورة تاريخية حتمية؟ بعثة جامعة الدول العربية لدى جمهورية الصين الشعبية*. تم الاسترداد من مجلة الكويت: www.arableague-china.org/arabic/.../mag4617.htm

باللغات الأجنبية:

- BANERJEE, K. (2022). *The crash of civilisation.* New delhi: Upendra Bharti.
- Fukuyama, F. (1992). *The end of history and the last man.* New york: The free press.
- Taylor, C. L., & Russett, B. M. (2020). *Karl W. Deutsch, Pioneer in the theory of international relations.* USA: Springer.
- MERZ, F. (2022). L état islamique en 2022. *Politique de sécurité analyses du CSS* (299), pp. 1-4.

- Nasrallah, D. (2021). Clash of civilisation. *British journal of Humanities and social sciences , 24* (2), pp. 99-103.
- RABIE, M. (2022). *Culture Civilization*. Consulté le 2023, sur ResearchGate: (PDF) Culture and Civilization (researchgate.net)